المخططات الاستعمارية في مجابهة الثورة التحريرية
كنموذج" الأسلاك الشائكة "

أ . وهيبة بشرير– جامعة الجزائر2

الملخص :

باتت الانتصارات الثورية المستمرة التي عرفتها الثورة التحريرية في السنوات الأولى على العديد من الأصعدة السياسية والدبلوماسية تشكل نوعا من التوتر في الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي اتخذت إجراءات عديدة في القضاء على الثورة التحريرية وقد عرفت الفترة الممتدة بين 1956 إلى 1961 عدة مشاريع ، وخطط وبرامج وإجراءات قانونية تدخل ضمن السياسة الفرنسية الجديدة المطبقة في الجزائر والتي كانت تهدف من خلالها إلى تشديد الخناق على الثورة وتسليط أبشع الأساليب الوحشية على الشعب الجزائري .و من هنا بدأ التطبيق الفعلي لهذه السياسة من خلال الحصار بالأسلاك الشائكة على الحدود الشرقية والغربية وكنموذج سلكي شال وموريس اللذين يعكسان التطور العلمي والتقني الذي عرفته أوربا عموما وفرنسا خصوصا .

في تلك المرحلة التاريخية كما يجسد العقلية التدميرية للسياسة الفرنسية التي كانت يهدف قادتها آنذاك إلى خنق الثورة والقضاء عليها ، وهذا حتى تبقى الجزائر فرنسية. لكن بالرغم من كل ذلك فقد استطاع أبطال التحرير الوطني عبور وخرق هذا السد المكهرب مرات عديدة مواجهين بذلك أكبر قوة استعمارية بالرغم من استعمال هذه الأخير لأبشع الطرق ولجوئها إلى الوسائل المحرمة غير القانونية (استعمال النابالم) .

لقد كانت فرنسا تظن أن بإنشائها لهذه الأسلاك وتطويقها للحدود وعزلها للجناحين الشرقي والغربي، ضمنت بقاءها في الجزائر ، غير أن الإرادة الشعبية لدى الجزائريين أثبتت العكس وبرهنت أن قوتها كامنة فيه، وما الدول المجاورة إلا دولا مساندة لهذه القضية العادلة .

Abstrat :

The contiunous revolutionary victories which was known by the revolution in the first years in both political and diplomatic level started to form a kind of strain inside the center of the french colonel ,which took many procedures to give up the Algerian revolution . the period between 1956 to 1960had known many projects ,plans ,programs and lawyal procedures which belon to the french new polcy that was practiced in Algeria their objective was to tighten the revolution and to practise the worst and the mast cruel ways of torture upon the Algerian people .

Thus ,the read practice of this policy had started through the blockade by thorny wires .on the western and eastern borders , like the thorny wires of Sharl and Mauris, which reflected the scientific and the technical developement in Europe in general and France in specific .

At that hestorical period,they shawed the destructive mentality of the french policy .Its leaders aimed to tighten and destroy the revolution .Their main purpuse was to make Algeria as a french community. But despite all their efforts,the Algerian heroes of the revolutionary Army could cross and rend that electric obstacle .so many times facing the strongest colonial power despite the use of the most criminal ways which were forbid den and illegal (the use of Napalm).

France thaught that it insured its continuity in Algeria by creating these wires and surrounding the borders and seperating the Eastern and Western sides.

However, the powerful will of the Algerians confermed the inverse and proved that its power is in it and the surrounding countries are nothing but supporters for this just affair .

مقدمة :

أصبحت الانتصارات الثورية المستمرة التي عرفتها الثورة التحريرية في سنواتها الأولى على العديد من الأصعدة السياسية والدبلوماسية ، تشكل نوع من التوتر في الأوساط الاستعمارية الفرنسية ، التي أضحت متأكدة من حقيقة وشرعية الثورة واشتداد وتيرتها ، واكتساب صفة الشمولية وأنها أخذت في تصعيد مبدأ الكفاح المسلح، فقد حتمت معطيات عديدة على الحكومة الفرنسية اتخاذ إجراءات رادعة ضد الأعمال البطولية لقادة الثورة التحريرية ، خاصة بعد الضغط المتزايد من قبل المعمرين الفرنسيين جراء الخسائر البشرية والمادية التي تعرضوا لها هذا من جهة ، ومن جهة ثانية رد الاعتبار لفرنسا المنهزمة في حرب الهند الصينية ورد الاعتبار لمواطنيها ، هذه الأخيرة – أي فرنسا – تأكدت أن نجاح الثورة وارتكازها راجع إلى القاعدة الشعبية الواسعة التي حالت دون القضاء عليها في السنوات الأولى من اندلاعها ،بالتالي يجب عزل الاثنين عن بعض .

شملت الفترة الممتدة بين 1956م إلى 1960 م عدة مشاريع وخطط وبرامج وإجراءات قانونية تدخل ضمن السياسة الفرنسية الجديدة المطبقة في الجزائر، كان هدفها تشديد الخناق على الثورة ومحاصرتها وتسليط أبشع الأساليب الوحشية على الشعب الجزائري ، كعقاب لثوريته ووطنيته ، من هنا بدا التطبيق الفعلي لهذه السياسة من خلال الحصار بالأسلاك الشائكة والحراسة المشددة على القرى والمداشر وإقامة المعتقلات والمحتشدات ، وإنشاء المناطق المحرمة المفرغة من السكان وزرعها بالألغام وتكثفت أعمال الإبادة والقتل والتشريد والحرق والمصادرة ، وأقرت الحكومة الفرنسية القوانين العقابية والزجرية لخنق كافة أنواع الحريات الفردية ، وبطبيعة الحال توجت هذه السياسة الجديدة بتطويق الجزائر ومحاصرتها ، حتى تمنع تسرب المجاهدين عبر الحدود لدولتي تونس والمغرب الشقيقتين لجلب الأسلحة والأدوية وإيصال صوت الثورة الجزائرية إلى الخارج من اجل كسب الدعم والمساندة من العالم العربي والإسلامي بصفة خاصة والعالمي من خلال تدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية بصفة عامة ، فأقامت السلطات الاستعمارية السدود والأسلاك الشائكة والمكهربة وكانت هذه الأخيرة قمت ما توصلت إليه العبقرية الفرنسية للقضاء على الثورة الجزائرية .

أهمية الحدود الجزائرية:

في السنين الأولى من اندلا ع الثورة التحريرية المسلحة إلى غاية سنة 1956 م كانت مناطق الحدود الجزائرية على طول الخط الحدودي آهلة بالسكان والتي كانت الدرع الواقي لجيش التحرير الوطني في الإقامة والتمركز والتموين والاتصالات وغير ذلك ونتيجة للمعارك اليومية الطاحنة في المجابهة بين وحدات جيش التحرير والقوات الفرنسية بمناطق الحدود ، جعلت فرنسا من مناطق الحدود على عمق 50 كم داخل الجزائر مناطق عسكرية محرمة إذ قامت القوات الفرنسية بتحطيم المنازل وقتل الماشية وتخريب أو إتلاف المحاصيل الزراعية وقطع الأشجار وتلويث المياه ، وقتل الحيوانات والمواشي وفرار السكان إلى المناطق الداخلية إلى القرى والمدن ، والى الحدود الجزائرية المغربية والتونسية وداخلهما وتم جمع ما تبقى من سكان هذه المناطق في المحتشدات والمعتقلات ومراكز التجمع والفرز

والسجون ، تحت الحراسة العسكرية والمراقبة الشديدة عن طريق البطاقات الخاصة التي تقدم عند الدخول والخروج في الأوقات المسموح بها [1].

أدركت السلطات الفرنسية الأهمية الإستراتيجية للحدود الجزائرية الشرقية والغربية كمنافذ رئيسية تتسرب عبرها الأسلحة والذخيرة القادمة من البلاد العربية والإسلامية والأوربية ، وتحول هذه المناطق كقواعد خلفية تمون وتدعم العمل المسلح داخل الجزائر ، لهذا راحت هذه السلطات تفكر في إيجاد وسيلة لسد هذه المناطق وقطع أي اتصال للثورة مع الخارج ، فاهتدت إلى فكرة إنشاء الخطوط والسدود المكهربة والشائكة [2]، فكان خط موريس الذي تدعم فيها يعد بخط ثاني مماثل هو خط شال .

ويمكن القول أن أهداف وأبعاد هذه الخطة منع فتيل الكفاح المسلح من التوسع والامتداد داخل دولتي تونس والمغرب ، إذ عرفت كل من الدولتين تطورات وأحداث بارزة على المستوى الداخلي ، وان الإمكانيات البشرية والعسكرية للسلطة الفرنسية داخل الجزائر كانت غير قادرة على مواجهة الجبهة العريضة المسلحة على المستوى المغربي [3] ، فكانت النتيجة منح الاستقلال للدولتين الجارتين من قبل الحكومة الفرنسية والتفرغ للثورة الجزائرية التي أثقلت كاهل الحكومة الفرنسية سواء من الجانب المادي أو البشري أو العسكري .

شرعت الحكومة الفرنسية في الجزائر في إقامة الخطوط المكهربة على الحدود الجزائرية التونسية في أواخر عام 1956 م بقرار من وزير الدفاع الفرنسي MAURICE ANDRE [4] وانتهت الأشغال في عام 1957 م ، ويتحدث الجنرال ديغول عن ماهية الأسلاك الشائكة فيقول "...وقد أقيمت الحواجز على حدود الجزائر مع تونس ، قوامها منشآت دفاعية محمية بشكل دائم ومغطاة بمعوقات من الألغام والشريط الشائك ، وبفضل هذه التدابير لن تتمكن القوات الثائرة التي تلجأ إلى الدخول إلى الجزائر قبل عقد الصلح ما لم نقدم على فتح الطريق لها بملء إرادتنا ..." ، أما عن الطرف الجزائري فهناك العديد من الشهادات الحية لمجاهدين عايشوا التجربة عن قرب من بينهم المجاهد المختار بوعيزم (سي ناصرا) الذي سرح في الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة والألغام ودونت الشهادة في كتاب الأسلاك الشائكة المكهربة الذي أصدره المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م بما يلي (...غير أن وضع هذه الخطوط بدأ سنة 1956 م، وأقول سنة 1956 م لأنني اشتغلت في مرسى بن مهيدي سنة 1956 عندما بدأت فرنسا في وضع هذا الخط ، ونحن كنا نجمع الشعب ببهائمه ونقوم من الغرب بقطع الأسلاك وكسر الأعمدة ...) [5] .

تعريف الأسلاك الشائكة :

تعتبر شبكة الأسلاك الشائكة من الموانع الاصطناعية ، وهي تتألف من أوتاد معدنية أو خشبية مغروسة في الأرض على أربعة أو خمسة صفوف ، يصل بينها جبهيا وقطريا أسلاك شائكة معدنية ، وتكون المسافة بين الأوتاد 1،5 م ، كما تكون المسافة بين الصفوف 1،5 أيضا .

تقام شبكة الأسلاك الشائكة على مسافة 50 / 60 م أمام مواقع المشاة ، و يكون قبلها عادة حقل ألغام مضادة للدبابات و نقل ألغام مضادة للمنشأة، و تدعم الشبكة نفسها بفخاخ و ألغام مضادة للأشخاص لمنع

العدو اجتيازها، كما تدعم بألغام منيرة تتفجر و تضيء المكان إذا ما حاول العدو إجتياز الشبكة أو قطع أسلاكها، و تكمن مهمة الأسلاك الشائكة في منع العدو من مفاجأة المدافعين والحد من سرعة إندفاع المهاجمين خلال مرحلة الانقضاض (الهجوم) و لا تستطيع شبكة الأسلاك الشائكة إيقاف الدبابات التي تستطيع سحقها و تجاوزها، و لمنعها من المغامرة في مثل هذه العملية تعزز بألغام مضادة للدبابات تزرع وسط الشبكة نفسها (6) .

و لشبكات الأسلاك الشائكة الثابتة حسب ارتفاعها 3 أنواع هي:

أ–الشبكة العادية:

و تنصب في الأرض العادية و يكون ارتفاعها أوتاد فوق سطح الأرض 120سم، و عمق الشبكة 4.6 إلى 6م و هي تدعم من الجانبين بأسلاك شائكة أو عادية للشد مربوطة بأوتاد قصيرة و مغطاة بأسلاك شائكة.

ب– الشبكة العالية:

التي يكون ارتفاعها فوق سطح الأرض من 160 إلى 180سم، و عمقها يتراوح من 1.5 إلى 3م وتنصب هذه الشبكة في مناطق التشكل الحساسة و حول المعسكرات والمطارات و تدعم من الجانبين بأسلاك شد و بشبكة عادية.

ج– الشبكة المنخفضة:

و تنصب في الغابات و المناطق المغطاة بالأعشاب، كما تنصب تحت الماء على الشاطئ أو على ضفاف الأنهار و يكون ارتفاعها عن سطح الأرض حوالي 30 إلى 40سم وتتميز هذه الشبكة بإمكانية إخفائها بحيث تفاجئ العدو خلال الإنقضاض (الهجوم)، بالإضافة إلى الشبطات الثابتة المذكورة فإنه من الممكن استخدام شبكات متحركة قابلة للطي (كونسرتينا) .

و هي عبارة عن شبكات أسطوانية يبلغ طولها 10م و قطرها يتراوح من 70 إلى 90م وتمتاز "الكونسرتينا" عن شبكة الأسلاك الثابتة بأن نصبها في مكان آخر عند تبديل الموقع لا تتطلب غزو أوتاد كثيرة في الأرض و لذا فهي تستخدم في الجبال و المناطق الصخرية(7).

فكرة إنشاء خط موريس و شال:

تعود فكرة إنشاء الخطين إلى الجنرال "فانكسام Vanuxem قائد منطقة الشرق القسنطيني الذي أراد تطبيقها في الفيتنام أثناء حرب الهند الصينية غير أن ذلك لم يتم بسبب هزيمة فرنسا في ماي 1945م هناك، لكن الفكرة بقيت في ذهنه و راودته في بداية الخمسينيات، و هكذا طبقت هذه الفكرة الجهنمية في الجزائر على يد "أندري موريس" وزير الدفاع في الحكومة بورجيس مونوري ، الذي اقترح إنجاز خط مكهرب يفصل الجزائر عن الحدود الجزائرية المغربية التونسية في نهاية عام 1956م و بداية 1957م بعد تقديمه للبرلمان الفرنسي الذي صادق عليه فأصبح هذا المشروع يحمل اسم صاحبه " خط موريس" كما عرف ب "سد الموت" أو "السد القاتل" أو "الثعبان العظيم"، و لقد استفاد "أندري موريس" شخصيا من هذه الصفقة المربحة باعتباره شريكا في

مصنع الأسلاك الشائكة التي تزود الخط المكهرب بالمواد الأولية[8]، و يصرح وزير الدفاع أنه استوحى قراره هذا (إنشاء الأسلاك) من قرارات مؤتمر الصومام القاضية بأولوية الداخل على الخارج، و الذي رأى فيه وسيلة يمكن من خلالها تشتيت شمل قادة الثورة الجزائرية تبعا لمقولة "إن إصدار أي قرار يستوجب إطلاعها على قرار الخصم" .

و انطلقت الأشغال في أوت 1956م في عدة مناطق لتمديد الخط المكهرب بواسطة الأسلاك الشائكة، يصل طولها إلى حوالي 750كلم من عنابة إلى تقرين. ليصل إلى الصحراء الجزائرية، وعلى عرض يتراوح من 30 إلى 60م و من الغزوات إلى عين الصفراء على طول نفس المساحة تقريبا[9].

يعود سبب تدعيمه إلى أهمية القواعد الخلفية الموجودة بالقاعدة الشرقية التي كانت توفر للثورة جميع الإمدادات و المساعدات المتاحة، و ترجع أهميتها كذلك إلى موقعها الإستراتيجي المتاخم للدول المجاورة والشقيقة منها: تونس، ليبيا، مصر، المملكة العربية السعودية، سوريا الأردن و العراق[10].

الظروف العامة لإنشاء الخطين:

لقد مهدت فرنسا لنجاح سياستها العسكرية الجديدة بحملة دعائية واسعة النطاق حيث جندت لها جميع الوسائل المادية، المعنوية و البشرية للقضاء على الثورة الجزائرية بحيث اعتبر هذا الإنجاز وسيلة وابتكار جديد و فعال كفيل بالقضاء على التمرد و هذا ما يفسر لنا حماس الساسة العسكريين الفرنسيين لهذا المشروع[11].

الجدير بالذكر أن الحرب تقوم على إستراتيجيتين: إستراتيجية دفاعية و أخرى هجومية وتعتمد الأولى على العوائق كوسيلة مادية لها، و ضمن هذا الإطار قامت القوات الفرنسية ببناء سد مكهرب بعد أن أجريت دراسات على المواقع و الأماكن التي يمر بها الخطان، فحددت معالمها ورسمت حدودها و نطاقاتها على الخرائط و سرعت في إنجاز خط موريس ووحدات الهندسة العسكرية التي تكلفت بهذه المهمة ذات الأبعاد المختلفة تحت إشراف خبراء و مهندسين مهرة في كافة الميادين، إلى جانب الحركة و العملاء و بعض من وظفوا تحت ستار القضاء على البطالة كما نجد المساجين والأسرى و المدنيين و المعتقلين الذين اضطروا إلى ذلك و كذا فرق من اللفيف الأجنبي والجلادين من أصحاب القبعات الخضراء و الحمراء تحت حراسة الجيش الفرنسي، كل هذه الطاقات البشرية وفرت من أجل اختصار فترة الإنجاز[12] ،و حسب المجاهد زرايقية صادق (قائد ناحية) فإن نسبة مشاركة الجزائريين في إنجاز الخطين قدرت بـ: 90% و 6500 (جزائري في مصادر أخرى)، كما تمت العملية في إطار منظم و دقيق حيث يبدأ العمل صباحا على الساعة السابعة تحت رقابة جنود الاستعمار عن قرب و باستمرار.

و لدفع عملية الإنجاز أوجدت ورشات توزعت على 3 مجموعات على رأس كل مجموعة رئيس فرع من المدنيين يحسن اللغة الفرنسية و تكفلت المجموعة الأولى بتموين العمال و تزويدهم بالوسائل الضرورية لسير العمل (الإسمنت ، الأعمدة ، القضبان الحديدية ، الأسلاك الشائكة).

بينما اكتفت المجموعة الثانية بالحفر في الأماكن السهلة، الوعرة، الصلبة و الصخرية، أما المجموعة الثالثة فقد تكفلت بوضع الأسلاك الشائكة و مدها، فكانت كل ورشة تعمل في اتجاهين قصد الإسراع في الإنجاز، فمثلا ورشة تعمل من سوق أهراس باتجاه عنابة و على هذا المنوال تكونت في الحدود الشرقية أكثر من 20 ورشة.

لكن عمل المساجين و الأسرى و حتى المدنيين لا يخرج عن نطاق الأسلاك الشائكة، أما مسألة الألغام و الكهرباء فإن جنود الاستعمار هم الذين يقومون بها نظرا لما تتطلبه من تقنيات يفتقد إليها غيرهم إلى جانب عدم ثقة الفرنسيين في الجزائريين بحيث أن عملية زرع الألغام كانت تتم بعزل عنهم حتى لا يشاهدون مواقع زرعها(13).

و لقد قسم منجزوا الخطين حسب المناطق التي يقطنون بها، فالعمال الذين يقطنون "بالماء الأبيض"ينجزون فقط المسافة التي تربطهم بالمنطقة التي تليهم. و كان أجر هؤلاء يقدر ب 6000 فرنك فرنسي كل 15 يوم، كما ارتدى الكثير منهم الزي العسكري الفرنسي دون أن يجندوا في صفوف الاستعمار فكانت كل ورشة تعمل في اتجاهين، و لمنع عمليات العبور أو الاختراق عبر الخطان بالألغام ففي نهاية شهر أفريل زرع 913000 لغم في الحدود الشرقية و 42000 لغم في الحدود الغربية و 40900 لغم في جبال القصور، وتراوحت قوتها من 5000 إلى 7000 فولط فأصبح هذا المجال صعب الحركة خاصة و أن الردادات مدت في الحدود الشرقية على مسافة 140كلم إبتداءا من الماء الأبيض إلى غاية شط الغرسة على طول طريق تبسة، تقرين، الوادي(14).

أ–خط موريس:

تعود فكرة إنشاء هذا الخط إلى وزير الدفاع في حكومة بورجيس مونوري الفرنسي " أندري موريس" الذي اقترح إنجاز خط مكهرب يفصل الجزائر عن الحدود الجزائرية التونسية في نهاية 1956م و بداية عام 1957م، وبعد مصادقة البرلمان الفرنسي على هذا المشروع أصبح يحمل اسم صاحبه "خط موريس" و انطلقت فيه الأشغال في أوت 1956م في مناطق متعددة، يمتد الخط من الجهة الشرقية على مسافة 320كلم من عنابة مرورا بن مهيدي، فالذرعان، شيحا ني، دريان، ليتفرع بعدها لحماية الطريق و السكة الحديدية و يمتد حتى بوقموزة، بوشقوف إلى تبسة باتجاه الكويف، بئر العاتر فسوق أهراس(15).

ليمتد نحو الصحاري بواسطة أجهزة الرادار، أما عن الجهة الغربية فقد امتد من (بورساي أحفي)تلمسان، مشرية (عين الصفراء)، القصور ليصل إلى إيقلي جنوب بشار مغطيا بذلك مسافة تقدر ب 700كلم، كما يتراوح عرض الخط بين 6 إلى 25متر حسب نوعية الأرض، أما ارتفاعه فحوالي مترين، يتكون من شبكة من الأسلاك الكهربائية الشائكة الدائرية و أخرى ممتدة أفقيا وعموديا مدعمة بأسلاك مكهربة تصل قوتها إلى 12000 فولط، كما وضعت هناك عدة مفاصل تقنية تتحكم قوة التيار الكهربائية، بحيث إذا قطع سلك التيار الكهربائي في مفصل معين بقيت المفاصل الأخرى مشتعلة وسليمة، و نفس الشيء في حالة إجراء بعض الإصلاحات فإن التيار يقطع من المفصل الذي تجرى فيه الإصلاحات فقط. بينما الأماكن الأخرى تبقى ممونة بالتيار بالإضافة إلى

هذا فقد أحيط الخط بحقول لألغام متفرعة حسب إستراتيجية الأماكن منها ألغام مضادة للأفراد و أخرى مضادة للجماعات و أخرى كاشفة و مضيئة إلى جانب وجود أجهزة إلكترونية كالرادارات و أبراج المراقبة(16)

لقد شرع في إنجاز خط موريس وحدات من الهندسة العسكرية تحت إشراف خبراء في كافة الميادين إلى جانب الحركى و العملاء و بعض من وظفوا تحت ستار القضاء على البطالة(17).

ب- خط شال:

أطلق على هذا الخط اسم "شال" نسبة إلى الجنرال الفرنسي "موريس شال " قائد القوات الفرنسية في تلك الفترة بين (1959-1960م)، الذي شرع بدوره في إنجاز ثاني خط مكهرب خلف الخط الأول من الجهة الشرقية من الشمال إلى الجنوب لتدعيم خط موريس و ذلك في بداية سبتمبر 1959م انطلاقا من غرب وشرق (القالة) ليتجه الجزء الأول منه نحو أقصى الشرق ليبلغ نقطة الحدود التونسية ثم يعود على شكل دائري ليتجه مع الجزء الآخر نحو الجنوب محتضنا كل المدن و القرى الواقعة على الشريط الحدودي حتى يقترب من خط موريس بالقرب من مدينة سوق أهراس ليتجها معا نحو الجنوب(18).

يتكون خط شال من أسلاك مكهربة شائكة تحمي الدبابات من النيران و القذائف التي يطلقها جيش التحرير، و بجوار هذا الخط المكهرب يوجد حقل الألغام المضيئة و الألغام المضادة للجماعات يتراوح عرضه ما بين 12 إلى 400م و ربما يتجاوز ذلك حسب طبيعة و نوع المكان(19) هذا إضافة إلى إقامة حزام من الأسلاك الشائكة لحماية تسرب الحيوانات إلى حقل الألغام عرضه حوالي 4 أمتار شرع في إنجاز الخط بنفس الطريقة التي اتبعها الجنرال "موريس" بحيث يقوم بالعملية المساجين والمعتقلين والعملاء تحت إشراف الجيش الفرنسي و خبراء مختصين في الهندسة العسكرية، هذا و لقد قسم منجزوا خط "شال" و حتى خط "موريس" حسب المناطق التي يقطنون فيها، فالعمال الذين يقطنون مثلا ببوحجار ينجزون فقط المسافة التي تربطهم بالمنطقة التي تليهم حتى (سوق أهراس) و يتولى عمال المنطقة الموالية مواصلة الإنجاز و هكذا تتم العملية(20).

الموقع الجغرافي للخطوط المكهربة:

أ–خط موريس:

يمتد من الجهة الشرقية من عنابة (Bone) فوادي الكبير، حيث يتصل بمنطقة "موريس" (ابن مهيدي) ليمر عبر (زريزر) و ("روندون" "بسباس" و "موندي") دريان و إبتداءا من هذه القرية يتفرع عنه قسمان يحميان الطريق و السكة الحديدية من "موند و في" سان جوزيف (بوقموزة) دوفيفية (بوشقوف) سوق أهراس"مونتيكيو" (مداوروش) حتى تبسة "سوق أهراس" ثم نفرين ليتجه فيما بعد صوب شط الغرس على مسافة يبلغ طولها 460م بينما يختلف العرض تبعا لطبيعة الأرض حيث يتراوح ما بين 6م و 12م(21).

أما على الجهة الغربية فقد امتد من "بورساي" و "أحفير" تلمسان " العريشة" "مشرية" موكتادلي"عين الصفراء" القصور" مويراس" الضواري" ليصل إلى "إيقلي" جنوب بشار.

وقد غطى الخط من الجهة الغربية مسافة تقدر بحوالي 700كلم و هو غير بعيد عن الحدود المغربية بحوالي 3 إلى 4كلم، بينما يختلف الأمر في الناحية الجنوبية نظرا لنوعية سطحها إبتداءا من "بويهي" إلى جبال "القصور" أين يبتعد الخط عن الحدود المغربية بحوالي 100كلم ليتبع مباشرة السكة الحديدية ابتداء من مشرية و يصل عرض الخط إلى حوالي 60م[22].

ب–خط شال:

أما خط شال فهو يمتد خلف خط موريس من الناحية الشرقية)أم الطبول(مارا بالعيون فشرق القالة "فرمل السوق" ثم "عين العسل" فالطارف" ليصل إلى "بوحجار" و سوق أهراس" و قبلها بحوالي 2كلم عند "وادي الجدرة" ينطلق باتجاه "حمام تاسة" ثم يتجه شرق الطريق الرابط بين تاورة "وسوق أهراس" و عند الكيلومتر28 يتحول نحو سيدي أحمد مارا بالمزيج "و تقرين" حتى نهاية وادي سوف عابرا بسوق تبسة[23]

و المسافة الفاصلة بين الخطين تتسع حينا و تضيق في بعض الأحيان حيث تتراوح بين 70 و 9كلم و هو يتكون من خط مكهرب قوته 30 ألف فولط، مكون في الوقت نفسه من 5 أسلاك متركبة تفصلها بعوازل ليبلغ ارتفاعها حوالي 2م و تغطيها أسلاك شائكة لحماية الدبابات من قذائف البازوك[24].

الجانب التاريخي من استخدام الأسلاك الشائكة في الجزائر:

في السنين الأولى من اندلا ع الثورة المسلحة إلى غاية 1956م و كانت مناطق الحدود الجزائرية على طول الخط الحدودي آهلة بالسكان و التي كانت الدرع الواقي لجيش التحرير الوطني في الإقامة والتمركز و التموين و الاتصالات ...الخ[25].

و نتيجة للمعارك اليومية الطاحنة في المجابهة بين وحدات جيش التحرير الوطني و القوات الفرنسية بمناطق الحدود جعلت فرنسا من مناطق الحدود في عمق 50كلم داخل الجزائر مناطق عسكرية محرمة، إذ قامت القوات الفرنسية بتحطيم المنازل و قتل الماشية و تخريب أو إتلاف المحاصيل الزراعية و قطع الأشجار و تسميم المياه و قتل الحيوانات و المواشي و فرار السكان إلى المناطق الداخلية إلى القرى و المدن و إلى الحدود الجزائرية المغربية و التونسية، و داخلهما وجميع ما بقي من سكان هذه المناطق في المحتشدات و المعتقلات و مراكز التجمع و السجون تحت الحراسة العسكرية و المراقبة الشديدة عن طريق البطاقات الخاصة تقديمها عند الدخول والخروج في الأوقات المسموح بها[26].

كان في بداية الأمر لسنة 1955 – 1956م إقامة الأسلاك الشائكة و زرع الألغام و التي لا يتعدى خط أو خطين، و في ليلة واحدة تم نزع هذه الأسلاك على طول خطوطه من طرف مناضلين ومسبلين بمرافقة أفواج من جيش التحرير الوطني[27]، و نظرا لإستراتيجية و دور فعالية هذه الأسلاك وما أعطتها من نتائج إيجابية في مختلف الحروب العالمية و المحلية، قامت القوات الفرنسية بتسييج الحدود حيث جندت لها قوات بشرية و مادية كبيرة و تلغيمها و من المساجين و المعتقلين الجزائريين أو حتى من المدنيين و عساكر فرنسية و من اللفيف الأجنبي

للإسراع ما يمكن لتطويق الحدود الجزائرية و عزلها عن عالمها الخارجي في الإمداد والتموين و العلاج في القواعد الخلفية للثورة الجزائرية داخل البلدين الشقيقين المغرب و تونس.

لكن حسب معايشة الكاتب لأحداث المنطقة و معاركها اليومية أن القوات الفرنسية وضعت كل إمكانياتها المادية و البشرية كما قلت إقامة هذه الأسلاك و حراستها و حمايتها و جهزتها بأحدث الآلات الإلكترونية و الرادارات و الأضواء الكاشفة و غيرها من الوسائل، و كانت القوات الفرنسية تقيم حراسة شديدة 24 ساعة على 24ساعة بالقرب من الأسلاك الشائكة و الخطوط المكهربة والألغام التي تقوم بغرسها أو سحبها خوف انتزاعها أو تخريبها من طرف المجاهدين أو المسلمين و كان المساجين و أفراد الشعب من الجزائريين هم الذين يتولون إقامة هذه الأسلاك إلى جانب العساكر الفرنسية و جعل هؤلاء في المقدمة الأولى في واجهة المجاهدين عند الهجوم على هذه الأسلاك الشائكة و المكهربة والملغمة و حقول الألغام.

و أمام هذه التجهيزات الجهنمية كان اجتياز الأسلاك الشائكة و المرور يعد عملية انتحارية في صراع مع الموت المحقق ليلا لأن الاجتياز كان يتم ليلا في الأسلكة داخل المغرب أو تونس أو داخل الجزائر [28].

لاجتياز هذه المناطق الملغمة فرادية ووضع قدم في محل القدم الخالي من الألغام المزروعة لمسافة أكثر من 50م من القدم، فأكثر أو أقل الأسلكة الشائكة العنكبوتية الملغمة ثم مناطق الألغام التي تبعد عن الخطين ب 100م ثم الأسلاك الشائكة المكهربة بقوة 6000 فولط في ارتفاعها لأكثر من 2م ل 5 أسلاك أقل أو أكثر أيضا أو حسب طبيعة و ظروف و إمكانيات كل جهة على الحدود الشمالية والجنوبية من مناطق مكشوفة و مناطق جبلية منكسرة التضاريس ووعرة المسالك [29] .

ثم مناطق الألغام بين الخطوط لمسافة 5 كلم فأكثر، ثم الأسلكة الشائكة المكهربة و الملغمة بموجة لالتقاط الأصوات على طول الخطوط الحدودية مدعمة بمراكز و أبراج المراقبة و قواعد مجهزة ببطاريات المدفعية و الصواريخ أرض أرض، و أرض جو، و الرادارات المتحركة فوق المدرعات و والمزنجرات لتتبع حركات المجاهدين، و الرادارات الثابتة في المراكز و القواعد التي تحدد بالضبط مكان المرور و تزود مراكز المراقبة و أبراجها بكل المعلومات للقصف المدفعي الآلي خاصة أنها تتبع ما يحمل فوق أكتاف الإنسان و على ظهور الحيوانات من أسلحة كيفما كان نوعها من مدافع الهاون و الرشاشة المدفعية و حتى الأسلحة الفردية من البنادق المختلفة[30].

أهداف إنشاء الخطين المكهربين :

لم تقم السلطات العسكرية الفرنسية الخطوط المكهربة إلا بعد التأكد من نجاعتها وفعاليتها في العديد من الحروب ومدى تأثيرها على المجتمعات نظرا للأهداف المبتغاة منها والتي تعدت الجوانب العسكرية ، لتمس الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وها راجع لتطور هذه الأسلاك بعد دراسة معمقة محكمة وتكنولوجية عالية سخرت لها إمكانيات مادية وبشرية ضخمة

ويمكن إجمال الأهداف الفرنسية من إنشاء الخطين في :

ا – الأهداف العسكرية :

تم تسخير ست فرق من رجال المظلات ليسهل تنقلهم على متن طائرات الهيلكوبتر عبر المواقع الإستراتيجية من اجل منع تنقل الثوار في قوافل محملة بالأسلحة والمؤونة تم جلبها من الناحيتين الشرقية والغربية لتموين عملياتهم العسكرية ، رغم محاولات العدو في القضاء على هاته الكتائب إلا أنها استطاعت إلى حد كبير في إيصال السلاح إلى الداخل ، وأمام هذا الوضع الذي هدد مصالح فرنسا ارتأت هذه الأخيرة إلى إنشاء خطوط مكهربة تدخل ضمن إستراتيجية القادة الفرنسيين بهدف توقيف قوافل السلاح وعزل كل من القاعدتين الشرقية والغربية لمنع المجاهدين من الدخول أو الخروج وفصلهم عن القواعد الخلفية والداخلية وعزلهم عن العالم الخارجي ومنعهم من الإمداد والتموين والعلاج قصد خنق الثورة والقضاء عليها ، إضافة إلى حماية السكك الحديدية الممتدة على طول الحدود والتي من خلالها تنقل الأسلحة الفرنسية حيث تمر من الجهة الشرقية من"الونزة " و "التبسة " باتجاه عنابة ومن الجهة الغربية من وهران إلى مشرية ثم كولومب بشار(31) .

ب – الأهداف السياسية :

أدى تصاعد الثورة وانتشارها إلى تحيك الرأي العام العالمي الذي كان يعد عاملا أساسيا في مسارها ، فرات فرنسا في هذا الأمر خطرا على مصالحها ، ولهذا لجأت إلى منع التواصل والترابط اللذين ينعشان الثورة ويمنعانها من العجز والفشل .

إلى جانب التطويق الإقليمي قامت فرنسا باحتكار وسائل الإعلام والاتصال من اجل إسكات صوت الثورة والغاية المغرضة والتعتيم الإعلامي وفرض الرقابة على المحققين والصحافيين حتى لا تخرج الثورة عن نطاقها الداخلي (32).

ج – الأهداف الاقتصادية :

إن الإستراتيجية العسكرية الجزائرية جعلت ضرب المصالح الاقتصادية الفرنسية جزء لا يتجزأ من المد الثوري، حيث تعرض قطاع النقل خاصة القطارات التجارية إلى هجومات كبيرة قدرت ب730عملية ضد القطارات و227 عملية ضد المحطات ، وذلك في الفترة الممتدة من 1 نوفمبر 1954 م إلى 31 أكتوبر 1957 م ولقد كلفت هذه العمليات الاقتصاد الفرنسي 5 ملايير فرنك سنة 1957 بينما وصل سنة 1958 إلى 9،5 مليار ليرتفع إلى20 مليار فرنك سنتي 1959و1960 (33)

مواجهة الثورة للخطين المكهربين :

لمقاومة الأسلاك الشائكة حاولت أفواج جيش التحرير الوطني مقاومة هذه الإستراتيجية التكنولوجية وأحيانا لمغالطة العدو إذ أنه كان يتم حمل مختلف أنواع الحديد فوق الدواب و إرسالها نحو المناطق معينة و في اتجاهات خاصة، و بالفعل كانت القوات الفرنسية بأجهزتها الإلكترونية تقوم بضبط و تحديد المكان و معرفة أماكنها الإستراتيجية من بطاريات المدفعية و الصواريخ والرادارات و يتم قصف تلك الحيوانات من طرف قوات العدو(34).

كما كانت وحدات جيش التحرير تقوم بإرسال بالونات تحمل مختلف الحديد في السماء في اتجاه الرياح نحو المراكز الفرنسية ، فتقوم القوات الفرنسية بقصفها بالمدفعية المضادة للطيران وأحيانا تحليق الطائرات في حالة استنفار قصوى لتلك البالونات في حرب استنزاف أو حرب الأعصاب للعساكر الفرنسية، كان كذلك جيش التحرير الوطني يستعمل الألغام على الحدود ضد الدبابات والمزنجرات و السيارات بصفة عامة، و أيضا وضع الألغام و المتفجرات حول المراكز العسكرية الفرنسية مما يتم استعادته من الألغام الفرنسية و قذائف المتفجرات مع تطويرها و إعادة استعمالها ضد القوات الفرنسية و عندما كان يشتد ضغط المجاهدين و سيطرتهم على ميدان المعارك الحدودية كانت تلجأ فرنسا إلى قصف المجاهدين النابالم و الغازات السامة خاصة لكتائب نقل الأسلحة و ذخيرتها الحربية في طريقها للمناطق الجزائرية الداخلية(35).

هناك شهادات حية تثبت مواجهة جيش التحرير للأسلاك الشائكة من بين الشهادات تصريح المجاهد المختار بوعيزم (سي ناصر) يقول (...لان فرنسا إذا قطعنا لها الأسلاك تضع لنا في الغد أشياء أخرى ، مثل العبوات والألغام ، ولهذا فكرنا ، وقلنا نتركها تضع الأسلاك وغدا نأتي بالطربيد ، وطوله ليس مترا أو مترا ونصف ، بل طوله أكثر ، وكنا نملؤه بالبارود الأسود وليس بT .N. T فقط ، ونضع فيه المتفجر ، لكن فرنسا في ذلك الوقت ، كان جنرالاتها وقاعدتها الغربية وقيادة أركانها يجتمعون لدراسة كيفية عملنا ، وطرق صناعة المادة ، وكيف فتحنا الطريق ، ويضعوا لنا أشياء أخرى مباشرة ...) (36).

الخاتمة :

أدى التطور العلمي والتقني الذي شهدته أوربا بصفة عامة وفرنسا بصفة خاصة إلى تجسيد هذه الأخيرة لقدراتها العلمية في الجزائر التي اتخذتها كأرضية لتجريب سياستها التدميرية على البلاد والعباد ولعل مخطط شال وموريس خير دليل على ذلك ، وهذا بهدف خنق الثورة والقضاء على قادتها وامتلاك الجزائر واعتبارها جزء لا يتجزأ من فرنسا ، بالطبع هذا الأمر كان شبه مستحيل لان أبطال جيش التحرير الوطني حالوا دون تحقيق ذلك واستطاعوا عبور الأسلاك الشائكة وإدخال السلاح والمئونة من الناحيتين الغربية والشرقية مواجهين بذلك اكبر قوة استعمارية في العالم بالرغم من استعمال السلطات الفرنسية لأبشع الطرق ولجوئها إلى الوسائل غير قانونية (استعمال النابالم ...) .

اعتقدت فرنسا بإقامتها للأسلاك الشائكة وتطويقها للحدود ، وعزلها للقاعدتين الشرقية والغربية ، أنها ضمنت بقائها في الجزائر ، غير أن الإرادة الشعبية لدى الجزائريين أثبتت عكس ذلك ، إضافة إلى الدعم الدولي الذي كان له الفضل الكبير في استقلال هذا الشعب الأبي خاصة من الدول المجاورة العربية والإسلامية ، وإيمانها بعدالة القضية الجزائرية .

الهوامش:

1- الأسلاك الشائكة المكهربة ، دراسات و بحوث الملتقى الوطني حول الأسلاك الشائكة، دار القصبة للنشر ، الجزائر، 1998م، ص 61 .

2- Mohamed Tegia : L'Algérie en guerre OPU Alger, pp 371-384

3- الأسلاك الشائكة المكهربة ، المرجع السابق ، ص 37 .

4- محمد الميلي ، مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ، الجزائر ، 1984 ، ص 45 .

5- الجنرال ديغول ، مذكرات الأمل ، ت ، سموحي فوق العادة ، بيروت ، منشورات عويدات ، 1971 ، ص ص 59 – 60 .

6- الموسوعة العسكرية ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر ، ج1 ، بيروت ، 1981 ، ص 83.

7- نفسه ، ص 84.

8- محمد الميلي ، مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1 ، الجزائر ، 1984 ، ص 45

9- علي زغدود ، 25 سنة من الحرية والتقدم ، جريدة المساء ، 4 جويلية ، 1987 ، ص 6

10-التقرير الجهوي لملتقى القاعدة الشرقية لكتابة تاريخ الثورة، المنعقد بتاريخ 14-15 فيفري 1985، سوق اهراس، ص 11.

11-جمال قندل ، خط موريس بين الانتصار والانكسار ، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير ، سنة 1992-1993 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، ص 19

12-علي زغدود ، المرجع السابق ، ص 7

13- جمال قندل ، المرجع السابق ، ص 15

14- الأسلاك الشائكة، المرجع السابق ، ص283

15- الرائد طاهر سعيداني: مذكرات الرائد طاهر سعيداني، القاعدة الشرقية قلب الثورة النبض، ط1، الجزائر: دار الطباعة للنشر و التوزيع، برج الكيفان، 2001، ص 123.

16- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين)19،20(، جزء2، ط2، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، وحدة الطباعة الروية، الجزائر، 1996م، ص ص 221 – 222 .

17- طاهر سعيداني ، المرجع السابق ، ص123 .

18- Mohamed Tegia, p 266

19 – يوسف مناصرية ، الأسلاك الشائكة و حقول الألغام ، مطبعة الديوان ، عين النعجة ، الجزائر، ص 21.

20- نفسه ، ص 21 .

21- جمال قندل ، المرجع السابق ، ص 21

22- نفسه ، ص ص 12- 13

23- التقرير الجهوي لملتقى القاعدة الشرقية لكتابة تاريخ الثورة ، المنعقد بتاريخ 14-15 فيفري 1985 . سوق اهراس ، ص 11

24- جمال قندل ، نفس المرجع السابق ، ص 47

25- احمد توفيق المدني ، حياة كفاح الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1982م، ج3، ص 408.

26- مجلة المجاهد: الأسلاك الشائكة تنسف(1نوفمبر 1958)، ص12.

27- وزارة المجاهدين: المتحف الوطني للمجاهد، وثائق عن خطي موريس و شال 1994.

28- مجلة المجاهد، المرجع السابق، ص 14.

29- وزارة المجاهدين: المتحف الوطني للمجاهد، وثائق عن خطي موريس و شال 1994.

30- محمد قنطاري ، نفس المرجع ، ص 63 .

31-عبد القادر نور والجنيدي خليفة ، حوار حول الثورة ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، 1986، ص 415 .

32- الأسلاك الشائكة ، المرجع السابق ، ص ص 290، 291 .

33- نفسه ، ص 291 .

34- مجلة المجاهد ، المرجع السابق ، ص 15 .

35- نفسه ، ص 15 .

36- الأسلاك الشائكة المكهربة ، المرجع السابق ، ص 227 .